ألفاظ وعبارات مختارة

للألفاظ المفردة أصولها الاشتقاقية وطرق صياغتها من هذه الأصول على صور معينة ولها معانيها المفردة التى تنسب إليها فى المعاجم ولها أجراسها التى تولّد فى النفوس قبولها أو نفوراً منها وقد يكون للفظين قدر من الاتفاق فى المعنى يصل إلى حد الترادف أو التداخل فإذا تداخل المعنى كان من المفيد رصد الفرق بين اللفظين وتخليص معنى كل منهما من معنى الآخر، وإذا تأملنا دور الأصول الاشتقاقية فى وجود الألفاظ أو إيجادها صادفنا شبكة من العلاقات بين هذه الأصول ومعانى الصيغ الصرفية تأذن لبعض الصيغ أن تستعمل من مادة إشتقاقية بعينها وتحكم على صيغ أخرى أن تصل فى حدود هذه الأصول فى نطاق المهجور. مثال ذلك أن الحدث من مادة اشتقاقية معنية إذا كان للمفعول قدرة على مقاومة إيقاعه صح أن يصاغ المطاوع من هذا الحدث وإن لم يكن له قدرة على ردّه أو مقاومة وقوعه امتنع أن يصاغ منه المطاوع وأصبحت صيغة المطاوعة من هذه المادة من قبيل المهجور. ويمكن اختبار ذلك بالإتيان بالمطاوع منفيا بعد المتعدى من مادته كأن نقول مثلاً: أطلقته فلم ينطلق فى مقابل ضربته فلم ينضرب. ومن ذلك أيضا ما يحيط من الشروط بصياغة أوزان صرفية معينة من مادة اشتقاقية أو من غيرها كشروط صياغة الصفة المشبهة أو التعجب أو التفضيل إلخ مما يفهم منه أن الأصول الاشتقاقية لا تستعمل على إطلاقها وإنما يخضع استعمالها لعلاقات المعانى الوظيفية للصيغ الصرفية، وللمعانى النحوية فى السياق.

وأما الصور المعينة التى تصاغ بها المفردات من هذه الأصول فهى ما نعرفه بالصيغ حينا والأوزان حينا آخر. ولقد مر بنا أن هذه القوالب ذات معان وظيفية وأن هذه

المعانى من شأنها أن تتعدد للصيغة الواحدة لأن المعانى الصرفية أكثر من هذه الصيغ ومن ثم لزم أن تتصرف اللغة فى صيغها تصرفا اقتصاديا يسمح بأقصى قدر من الإفادة من الوسائل المحدودة المتاحة. وهكذا تصبح الصيغة غير صالحة بمفردها للدلالة على معنى معين كالذى نراه فى صيغة «فعيل» مثلا إذ تصلح حال إفرادها أن تنسب للأسمية كما فى سرير أو المصدرية كما فى صهيل أو للوصفية كما فى بخيل فلا يتعين لها واحد من هذه المعانى إلا بعد أن تصاغ الكلمة المفردة المشتقة على مثالها. هذا إذا لم يتعدد المعنى المعجمى لهذه الكلمة المفردة أيضا بعد صياغتها كما فى «صريخ».

ذلك بأن المعنى المفرد (معنى اللفظ المفرد وهو لايفيد نسبة من أى نوع إسناديه كانت أم غير إسنادية) هو معنى متعدد ومحتمل ومن ثم يفتقر إلى قرينة السياق التى تحدده وقد يفتقر إلى قرينة أخرى غيرها إذا عرض له جناس أو تورية أو غير ذلك مما يعرض للألفاظ كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦).

وكذلك: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ (النحل ١١٢).

وقوله: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة ٢٣٨).

وقوله: ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ (يوسف ٢٤).

إذ نجد كلا من الألفاظ: «لباس» و«الوسطى» و«ربه» يحتاج إلى قرينة لبيان معناه المقصود واستبعاد معناه الآخر غير المقصود. وقد سبق إلى فهمنا من اللفظ الأول مصدر الفعل لابس يلابس ومن الثانى معنى «الحسنى» ومن الثالث معنى «سيّده» أى العزيز الذى ربّاهُ.

وأما تفاوت المفردات من حيث الجرس فقد صادف اعتراف الشعراء والنقاد منذ كان الشعر والنقد بل إنه يلحظه الناس من كل الطبقات فى الاستعمال اللغوى ويبنون عليه الكثير من الأحكام القيمية على شخصيات الأفراد كاللباقة والتهذيب

والذوق والرقة والنعومة والجلافة والجفوة والخشونة إلى غير ذلك من الأحكام كما قامت الصلة منذ الزمن الأول بين الجرس والمعنى بواسطة دعوى دلالة الصوت على المعنى وقد تنبه لها اليونان أول الأمر وأطلقوا عليها اسم Onomatopoea ثم عرفها العرب باسم «حكاية الصوت للمعنى» وقد اختصرنا هذا الاسم فجعلناه «الحكاية».

وإذا شارك اللفظ اللفظ فى معناه نشأ عن هذه المشاركة سؤال مهم عن مقدار هذه المشاركة فإذا ادعينا أن هذه المشاركة تامة ورد علينا الاعتراض بأن فى ذلك إسرافا فى استعمال الألفاظ وقد سبق أن نسبنا إلى اللغة لجوءًا إلى الاقتصاد فى استعمال وسائلها المتاحة وليس من الاقتصاد فى شىء أن نورد على المعنى الواحد ألفاظاً متعددة نحن أحوج ما نكون إليها لندل على معان أخرى لا حدود لها تعرض لنا كل لحظة من كل يوم. أما إذا أقررنا بأن مقدار المشاركة لا يتعدى درجة التداخل ولايصل إلى التطابق وبأن لكل من اللفظين منطقة من المعنى لايشاركه فيها اللفظ الآخر فقد أصبح علينا أن نرصد منطقة الاختلاف فى المعنى بين اللفظين وهكذا نشأ نوع من المؤلفات فى تراثنا العربى يسمى كتب الفروق لعل من أشهرها كتاب الفروق لأبى هلال العسكرى.

هذه هى المحاور التى يجرى على أساسها اختيار اللفظ (محور الأصل الاشتقاقى والصيغة الصرفية والمعنى المفرد والجرس وعلاقة الألفاظ بعضها ببعض) وسنرى كيف يصرّف القرآن الألفاظ بمراوحة الأهمية النسبية بين هذه المحاور إذ يجعل أهمها الاشتقاق حينا والصيغة حينا آخر والجرس حينا ثالثا وهلم جرا.

أما اختيار العبارة فلربما قام على محاور تختلف عن حل ماسبق وتتفق مع بعضه كما سنرى بعد قليل. فالعبارة تختار لسبك تركيبها ووضوح معناها واتجاهه إلى الصراحة أو التلميح ولمناسبتها للغرض منها إيجازا وإطنابا وحقيقة ومجازا ولحسن جرسها ثم لانسجامها مع بيئتها من السياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض. تلك هى المحاور التى يقوم عليها اختيار العبارة فيما أرى ولقد أحسن القرآن اختيار عبارته بِحَسبها كما سنرى ذلك واضحا فى الشواهد التى نوردها فى هذا الفصل من الكتاب للألفاظ أولا ثم للعبارات ثانيا:

أ ـ الألفاظ:

قال تعالى:

١ ـ ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف ٥٣) كان يمكن أن تقول: «إن نفسى لأمارة بالسوء» فتفوت على نفسها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانية حين تؤكد اتهام النفس على إطلاقها فى موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظن بها بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ. ومن هنا كان اختيار كلمة «النفس» لتعم نفوس البشر جميعا ومنها نفسها هى.

٢ ـ ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف ٢٥) عدلت عن قولها: «من أراد بى» سوءً إلى أن تجعل إرادة السوء موجهة إلى أهله لتصرف العدوان من أن يكون عليها هى إلى أن يكون عليه هو استدراراً لغضبه من أجل كرامته ولو قالت «من أراد بى» لتركت له الفرصة للتأمل فى صدق قولها أو كذبه أو لكان له أن يقول لها: ولماذا تركت له الفرصة حتى أراد بك السوء.

٣ ـ ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (يوسف ٧٦) فى هذه الآية لفظان مختاران أولهما لفظ «كدنا» والمقصود «ألهمناه كيداً» والثانية «دين الملك» والمقصود العقوبة المصرية القاسية فالله تعالى ألهم يوسف أن يسأل إخوته عن جزاء السارق فى عرفهم ليقى أخاه أن يؤخذ فى دين الملك أى شرعه القاسى فالتعبير بلفظ «كدنا» أبلغ فى الدلالة على إرادة الله ذلك من أن يقال «ألهمنا يوسف كيداً» واختيار لفظ «دين الملك» على لفظ «شريعته» لأن الملك كان يحكم بإرادته الفردية فلم تكن له شريعة يلتزم بها ويخضع لحكمها لو قضت عليه والمعنى أنه ما كان ليوسف أن يرضى بإخضاع أخيه للعقوبة المصرية إلا أن يشاء الله.

٤ ـ ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً ﴾ (يوسف ٩٣).

﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً ﴾ (يوسف ٩٦).

لاحظ الفرق بين لفظى «يأت» و«ارتدّ» فمناط القول فى الأول رغبة يوسف فى مجيء قومه إلى مصر بدليل قوله بعد ذلك مباشرة: «وأتونى بأهلكم أجعين» وأما مناط القول فى الثانى فهو التحول من حالة العمى بالارتداد إلى الإبصار دون تفكير فى انتقال أو عدمه.

٥ ـ ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم ٥٢) ليس للطور يمين ولا شمال وإنما هو جبل ميمون بل هو «أيمن» من غيره من البقاع بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ (القصص ٣٠) أى نودى من الشجرة من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة أى الطور. فلم كان اختيار لفظ «الأيمن» دون غيره؟ أولا لأن الأيمن هو الأكثر يمناً وثانيا لأن ثمة قرينة خارجية تحول دون اعتقاد أن للطور يمينا وشمالا لأن هذا لايتحقق إلاّ لكائن ذى وجه يتجه به إلى أحد الاتجاهات لنقول إن عن يمينه كذا وعن شماله كذا.

٦ ـ ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (القصص ٦١) انظر إلى اختيار لفظى «متاع» و«المحضرين» تجد الأول يقصد به الإمهال إلى أجل محدود وذلك معناه كلما ورد فى القرآن وإنما اختير على «الإمهال» لأنه زائد عليه فى المعنى لأنه يشتمل على الحروف الأصلية للمتعة وهذا المتاع الدنيوى يعقبه «الإحضار» يوم القيامة والإحضار معناه الإمساك بالمذنب ومنعه من الهرب والمثول به أمام القضاء والحساب. فهو غير مجرد «الحضور». ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (الروم ١٦).

٧ ـ ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص ٥). المعروف أن صيغة فُعَال اسم كلعاب وصفة مشبهة كشجاع وإحدى صيغ المصادر إذ تدل على داء أو صوت كسعال وصراخ وقد قال ابن مالك:

للدا فُعال أو لصوت وشمل سيرا وصوتا الفعيل كصهل

ولكن إرادة المبالغة فى تصوير معنى «عجيب» أدت إلى استعمال هذه الصيغة الصرفية التى لا تحتسب عادة بين صيغ المبالغة. وشبيه ذلك ما حدث باختيار ألفاظ أخرى مثل ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ (نوح ٢٢) إذ لاتعد صيغة «فُعّال» بين صيغ المبالغة وكذلك لفظ «كوثر» فى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر ١) أى اعطيناك الكثير جدا.

٨ ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى ١٦) إذ جاء لفظ «داحضة» على صيغة اسم الفاعل ومعنى اسم المفعول كما يقال طاعم وكاس وهذا الشىء تالف أو فاسد وهو ما لحقه التلف والفساد إلا بسبب مُتْلِف أو مُفْسِد ولكن هذا المُتْلِف أو المُفْسِد ليس موضع عناية عند صياغة اللفظ فبين اسم الفاعل هنا وبين الفعل المطاوع رحم وفربى. وعلى هذا لم تهتم الآية بالعنصر الذى كان واسطة فى الدحض إذ قد يكون ذلك بما هو مسجل فى كتاب أعماله أو بشهادة أعضائه عليه أو بغير ذلك من وسائل الدحض فالذى يهم فى النهاية أنها «داحضة» وأن هذا الدحض لحقها كما يلحق الفساد الفاسد وكما يلحق التلف التالف.

٩ ـ ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ (الأحقاف ٢٦) عبرت الآية عن النفى بلفظ «إنْ» لتقدم «ما» عليها وكراهية توالى لفظين مثلين كأن يقال «فى ما ما مكناكم» بتكرار النفى بـ «ما» وبخاصة لأن الفعل الذى بعد «إنْ» مبدوء بالميم ولما كان الحرف الساكن «أى المد الذى فى ما» حاجزا غير حصين كان استعمال «ما» بدل «إنْ» مما يعد توالى ثلاث ميمات وهو مكروه فى ذوق الصياغة العربية. أما لماذا لم يقل «فيما لم نمكنكم فيه» فإن «لم» تقلب زمن المضارع إلى المضى والمراد الكلام عن حاضرهم وليس عن ماضيهم ولذا جاء التعبير بأداة الزمن الحاضر لأن «إنْ» = «ما» من حيث الزمن.

١٠ ـ ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران ٤٠) ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ

﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران ٤٧) قال سبحانه لزكريا «كذلك الله يفعل ما يشاء» وقال لمريم «كذلك الله يخلق ما يشاء» لأن لفظ «يفعل» لا يناسب أن تخاطب به الأنثى لما تحمله الكلمة من إشارات غير مناسبة وإيحاءات ممجوجة.

١١ ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الحج ٤) أنظر إلى الطباق فى اللفظ والوفاق فى المعنى بين لفظى «يضله ويهديه» فهذا الطباق اللفظى حالت بينه وبين الامتداد إلى المعنى عبارة «إلى عذاب السعير» وبنا أن ننظر الآن إلى اختيار لفظ «يهديه» دون «يسوقه» أو «يلجئه» أو «يسلمه» أو «يدفعه» أو ما أشبه ذلك من الألفاظ إن فى اختيار اللفظ المذكور ما يلى:

أ ـ أرادة السخرية كإرادتها فى ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران ٢١).

ب ـ إن من شأن الدعوة أن تكون إلى الهدى لا إلى الضلال فتحقق ذلك له باللفظ وإن فاته بالمعنى وإنما جاءت السخرية من مقابلة لِلتَّحَقُّقِ والفوات فى لفظ واحد.

١٢ ـ ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (ص ٢٤) لفظ «كثيرا» فى الآية يدل على البعضية التى يعززها معنى «من» الجارة التى بعد لفظ «كثيرا» ثم يأتى بعد ذلك قوله «بعضهم على بعض» وفيه لفظ «البعضية» ولكن هناك فرقا بين البعضية المستفادة من اللفظ الأول «مِنْ» والبعضية المعبر عنها بالتركيب الثانى لأن عبارة «بعضهم على بعض» عبارة «مسكوكة» تُؤْخَذُ فى جملتها لتفيد معنى التبادل الذى يستفاد وظيفيا من الصيغة الصرفية «تفاعل» كتقاتل. ولوصح لصغية «تفاعل» أن تصاغ من البغى لأجزأ فى هذا المعنى أن يقال: «وإن كثيرا من الخلطاء ليتباغون» وهكذا ينحصر معنى البعضية فى قوله «كثيرا من الخلطاء» وتخلص عبارة «بعضهم على بعض» لمعنى التبادل وتبرأ الآية من الأطناب.

١٣ ـ وحين عبرت الآية عن علاقة يوسف بالعزيز قالت: ﴿ الَّذِي اشْتَرَاهُ ﴾ (٢١) فلم تجعله سيده وحين عبرت عن علاقته بامرأة العزيز لم تجعلها سيدته بل قالت ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف ٢٢) وكان ذلك تكريما

ليوسف أيضا كما كان احتقارا لسلوكها أو لعملها لأنهاهى نفسها ربما كانت أمة تسراها سيدها وهو ما عبرت عنه آلاية ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ** ﴾ (يوسف ٢٥). أما يوسف فإنه كان يقر بجميل صاحب البيت الذى ربّاه حتى بلغ أشده ولكنه لم يجعل العزيز سيده فى كلامه وإنما اختار لفظا مشتقا من التربية قال: ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾ (يوسف ٢٣) وتكلمت الآيات عن الرب بمعنى السيد فى قوله تعالى: ﴿ **لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾ (يوسف ٢٤) وكذلك ﴿ **أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا** ﴾ (يوسف ٤١) وأيضا ﴿ **اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** ﴾ (يوسف ٤٢).

١٤ ـ يستعمل لفظ «شرَى» بمعنيين:

أ ـ معنى «اشترى» كما فى قول عنتره:

حصانى كان دلال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا

إذ تقوم المقابلة بين «شرى» و«باع» قرينة على أن «شرى» بمعنى «اشترى».

ب ـ معنى «باع» كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ** ﴾ (البقرة١٠٢) وقوله ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ** ﴾ (النساء ٧٤) وقوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ (البقرة ٢٠٧) أما لفظ «باع» فليس يدل إلا على معنى البيع ومن هنا كرّم الله يوسف باختيار لفظ «شرى» دون لفظ «باع» فى قوله تعالى: ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾ (يوسف ٢٠) وذلك لما يحمله لفظ «باع» من إيحاء بالرق والمهانة ولأن ما فى لفظ «شرى» من أنه من ألفاظ التضاد يخفف من هذا الإيحاء.

١٥ ـ السّنة والعام بمعنى واحد فكلاهما يعنى مدة اثنى عشر شهرا. ولكن القرآن الكريم يورد لفظ السنة عند إرادة الشدة ويورد العام عند إرادة الرخاء ومن هنا يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ** ﴾ (الإعراف ١٣٠) ويقول ﴿ **فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** ﴾ (يوسف ٤٢) ويقول ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ**

سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف ٤٧) فيكون الدأب قرينة الشدة فى هذه السنين ولكنه يقول بعد ذلك ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف ٤٩) ويقول تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت ١٤) وفى ذلك دليل على أن الأعوام الخمسين كانت أعوام هدوء وأن السنين الباقية من عمره استغرقتها الدعوة والتكذيب والانفعال وأن نوحا ربما ظل على قيد الحياة ألفا كاملة العدد.

١٦ ـ لقد مربنا فى دراسة القيم الصوتية فى فصل سابق كيف كان جرس بعض الألفاظ القرآنية التى لا وجود لمعظمها خارج النص القرآنى وذلك مثل: ضيزَى ـ زَقُوم ـ غسْلين ـ المُهْل ـ سَقَر ـ سَلْسَبيل ـ غَسَّاق ـ سِجيّن ـ عِلّيّين ـ تَسْنيم ـ ضريع ـ سينين ـ سِجيّل ـ الْكَوْثَر ـ غَاسِق ـ وَقَبَ ـ إِلْ ـ الَخ وقلنا إن فى هذه الألفاظ حكاية للمعنى بواسطة الجرس. ولو حاولنا بيان ذلك فى لفظ «زَقُوم» لوجدنا ما يلى:

١ ـ القاف والميم شركة بين لفظ الزقوم ولفظ «اللقمة».

٢ ـ الزاى رخوة «احتكاكية» والقاف شديدة «انحباسية» وتواليهما يوحى بتكلف ادخال اللقمة محتكة بالفم ففيها معنى «الزّق» كما يزق الطائر فرخه.

٣ ـ وفى الكلمة من حروف «الحلقوم» القاف ثم إن فى الواو والميم من طول الأولى وإقفال الشفتين فى الثانية ما يوحى بتوقف اللقمة عند الحلقوم، لصعوبة إزدرادها.

٤ ـ أصول الكلمة هى أصل اشتقاق طائفة من الكلمات تتصل بالطعام فالطائر يزق فرخه وزقم = لقم وأزقَمَهُ = أبْلَعَهُ وازد قمه ـ ابتلعه وأخيرا الزَقْمَةُ = الطاعون.

٥ ـ فى تشديد القاف إطالة اتصال الأعضاء فى مخرجها مما يوحى ببقاء اللقمة محتبسة فى الحلقوم مدة طويلة قبل الإساغة وبخاصة إذا لحق بطول التشديد طول المدّ الذى فى الواو من «الزقوم».

ب ـ العبارات:

١ ـ قد يحدث عند الإخبار بالذى أو الألف واللام أن يراد الشرط أو يراد مجرد الخبر. أما إرادة الشرط فيبررها أن الموصولية هى المعنى الأصلى لعدد من أدوات الشرط نحو «من وما وأى» فإذا صح أن تتحول هذه الموصولات بحسب مبدأ النقل إلى أدوات شرط فإن موصولات أخرى يمكن أن تستعمل بمعنى الشرط أيضا وأن لم تخضع لمبدأ النقل إما لكثرة حروفها فلا تصلح أداة مثل «الذى» وإما لوجوب اتصالها فلا تصلح أيضا مثل «الألف واللام» فإذا قصد معنى الشرط عند الإخبار بالذى والألف واللام اقترن الخبر بالفاء وإن لم يقصد معنى الشرط لم يقترن الخبر بها. ويبدو ذلك واضحا فى الشواهد التالية:

أ ـ إرادة الشرط رمن ثم اقتران الخبر بالفاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ (آل عمران ٩١).

أى: إن ماتوا وهم كفار فلن يقبل منهم.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ (المائدة ٣٨).

أى من سرق ومن سرقت فاقطعوا..

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ (النور ٣٣).

أى إن ابتغوا المكاتبة فكاتبوهم.

﴿ والزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور ٢).

أى من زنت ومن زنى فاجلدوا....

ب ـ إرادة مجرد الاخبار فلا يقترن الخبر بالفاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ (النساء ٥٦).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (النساء ٥٧).

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (الرعد ٢٩).

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ (المؤمنون ٦٠، ٦١).

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى ١٦).

وليس معنى الشرط واردا على أىّ من هذه الشواهد ومن ثم يمتنع اقتران الخبر بالفاء لانعدام رائحة الشرط.

٢ ـ حين عاد أحد الفتيين رفيقى السجن إلى يوسف يدعوه إلى تأويل حلم الملك ناداه قائلا: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٦) مبديا بهذا النداء رأيه فى يوسف أنه من الصديقين ولو أنه عكس النداء فقال «أيها الصديق يوسف» لكان معنى ذلك أن لفظ «الصديق» لقب عرف به يوسف بين خلطائه فلا يحمل النداء به من التقدير والاحترام ما حمله النداء القرآنى.

٣ ـ إن معنى التسوية فى العبارة القرآنية يمكن أن يعبر عنه بطرق مختلفة منها:

أ ـ استعمال لفظ التسوية نحو:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (البقرة ٦).

ب ـ الأمر وقد عطف عليه النهى بأو نحو:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٨٠).

جـ ـ العطف بأو فى غير ذلك نحو:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ (التوبة ٥٣).

٤ ـ إذا كان فى القرآن ألفاظ تحيل إلى متآخر لفظا ورتبة كضمير الشأن فإن فيه أيضاً ألفاظا لها إحالة مشابهة إلى كلام لاحق فهى عبارات تشبه من حيث المعنى ما فى الاستعمال المعاصر من عبارة «مايلى» أو «ما يأتى»: فمن ذلك:

أ ـ ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران ٥٨) أى نتلو عليك ما يلى:

ب ـ ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ (طه ١٣) أى فاستمع لما يأتى:

جـ ـ ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ (طه ٣٨) أى أو حينا مايلى:

د ـ ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (المائدة ١) أى إلا مايلى:

٥ ـ كثيرا ما يعبر القرآن عن المعانى الإنشائية بالمصادر المنصوبة وقد أجهد النحاة أنفسهم فى تلمس أفعال يقدرونها واجبة الحذف لتنتصب بها هذه المصادر وما كانوا بحاجة إلى ذلك ما داموا قد أحلوا بعض المصادر محل الأفعال واطلقوا عليها أسماء أفعال نحو تراك ودراك وحذار إلخ والمعانى الإنشائية التى يستعمل القرآن لها هذه المصادر منها:

أ ـ الأمر: نحو ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ (محمد ٤).

وأيضا ﴿ وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ (البقرة ٢٤٠).

ب ـ الإلزام: نحو ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (النساء ٢٤) وأيضا ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٢٤).

جـ ـ الإلتزام: نحو ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ (يونس ٤).

د ـ الإغراء: نحو ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (البقرة ١٣٥).

هـ ـ إنشاء التحية: نحو ﴿ قَالُوا سَلامًا ﴾ (الحجر ٥٢) وكذلك ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (الفرقان ٦٣).

و ـ التنزيه: نحو ﴿ سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ (الإسراء ١) وكذلك ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ (مريم ٣٥).

ز ـ التأكيد: نحو ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ (مريم ٣٤) وكذلك ﴿ وَعْدًا عَلَيْنَا ﴾ (الأنبياء ١٠٤) و﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف ١٦).

٦ ـ يستعمل النص القرآنى «أم» لمعادلة الهمزة المتقدمة عليها وهذا معناها الأصلى ولكنه يسوقها أحيانا مساقا آخر يجعلها تفصح عن همزة مقدرة ولهذا لا يعدّ مستهجنا أن نسميها «أم» الفصيحة، وذلك كما فى قوله تعالى:

أ ـ ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة ١٠٨) والتقدير: أتعتقدون أنه «مالكم من دون الله من ولى ولا نصير» أم تريدون أن تسألوا رسولكم أن يريكم الله جهره (أنظر الآية ١٠٧).

ب ـ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ (البقرة ١٣٣) والتقدير أقبلتم فى ذلك نبأ الوصية المذكورة أم كنتم شهداء (انظر الآية ١٣٢)

جـ ـ ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (البقرة ١٤٠) يجوز أن تكون «أم» عطفا على قوله تعالى «أتحُاجّونَنَا فِي اللّهِ» كما يجوز أن تكون عطفا على همزة مقدرة.

والتقدير اتعتقدون أن ملتنا هى ملة إبراهيم أم تقولون...

د ـ ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴾ (النساء ٥٣) والتقدير أمن حقهم أن ينسبوا إلى الهداية من يشاؤون أم لهم نصيب من الملك (أنظر الآية٥١).

٧ ـ تستعمل «إلا» فى القرآن للاستثناء وهذا هو الأصل فيها ولكنها تأتى أيضا للاستدراك فتكون بمعنى «لكن» كما فى الشواهد الآتية:

أ ـ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٣٤) أى لكن إبليس.

ب ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠) أى لكن الذين تابوا.

جـ ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (الأعراف ١١) أى لكن إبليس.

د ـ ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ (التوبة ٣ ـ ٤) أى لكن الذين عاهدتم:

هـ ـ ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة ٧) أى لكن الذين عاهدتم.

و ـ ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس ٩٨) أى لكن قوم يونس..

ز ـ ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم ٦٢) أى لكن سلاما.

ح ـ ﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (طه ١ ـ ٢) أى لكن تذكرة.

ط ـ ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (القصص ٨٦) أى لكن رحمة.

ى ـ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (التين ٤ ـ ٦).

٨ ـ يصوغ الأسلوب القرآنى المصدر المؤول بواسطة عدد من الحروف التى تدخل على الفعل المضارع كما يبدو فى الشواهد التالية:

أولا ـ أن والفعل: وهذا هو الأعم الأغلب كما فى قوله تعالى:

أ ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (البقرة ٦٧).

ب ـ ﴿ أفتطعمون أن يؤمنوا لكم ﴾ (البقرة ٩٠).

جـ ـ ﴿ مَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ (البقرة ٩٦).

د ـ ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة ١٠٥).

هـ ـ ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة ١٠٨).

و ـ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (البقرة ١١٤) أى من أن يذكر.

ز ـ ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (البقرة ١٥٨) أى فى أن يطَّوَّف.

ح ـ ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٦٩).

ط ـ ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة ١٧٧).

ى ـ ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة ١٨٤).

ثانيا ـ ما والفعل: كما فى قوله تعالى:

أ ـ ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ (البقرة ٧٥).

ب ـ ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٦١).

ج ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٥٩) أى بعد بياننا إيّاه.

د ـ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٦٤) فالمصادر هنا هى الخلق والاختلاف والإنزال والبث والتصريف.

هـ ـ ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ (البقرة ١٦٧).

و ـ ﴿ لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة ٢٧٥).

ثالثا ـ اللام والفعل: وتدخل اللام على الفعل غالبا بعد فعل الإرادة فى قوله تعالى.

أ ـ ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ (النساء ٢٦).

ب ـ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ (الصف ٨).

جـ ـ﴿ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة ٦).

د ﴿ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ (المائدة ٦).

رابعاً ـ لو والفعل: ويكثر ذلك مع الفعل «ودّ» و«يودّ» كما فى قوله تعالى:

أ ـ ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة ٩٦).

ب ـ ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء ١٠٢).

حـ ـ ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (النساء ٨٩).

د ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ (البقرة ١٠٩).

هـ ـ ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ (آل عمران ٦٩).

و ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ ﴾ (النساء ٤٢).

خامساً ـ إذ والفعل: كما فى قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (آل عمران ٨).

٩ ـ يكثر نزع الخافض فى الأسلوب القرآنى وبخاصة مع «أنّ» المشددة النون وَ «أنْ» المصدرية والمعروف أنّ نزع الخافض معهما مطرد. وذلك كما فى قوله تعالى:

أ ـ ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (البقرة ٢٥) أى بأنّ.

ب ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة ٢٦) أى من أنْ.

جـ ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (البقرة ٦٧) أى بأنْ.

د ـ ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ (البقرة ٧٥) أى فى أنْ.

هـ ـ ﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (البقرة ٧٧) أى بأنْ.

و ـ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (البقرة ١١٤) أى من أنْ.

ز ـ ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ (البقرة ١٢٥) أى بأنْ.

ح ـ ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٦٩) أى بأنْ.

ط ـ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة ١٩٨) أى فى أنْ.

ى ـ ﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ﴾ (البقرة ٢٢٤) أى لأنْ (أى لا جل أنْ).

ك ـ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ (البقرة ٢٢٢) أى عن أنْ.

ل ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ (البقرة ٢٥٨) أى لأنْ.

مـ ـ ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا ﴾ (البقرة ٢٨٢) (أى إلى أنْ لا ترتابوا).

وقد يلزم مَعَ تقدير الخافض المنزوع أن نقدر مفعولا لأجله محذوفا مثل كلمة «اتقاء..» أو مخافة..» أو «اجتناب...» كما فى قوله تعالى:

أ ـ ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ (البقرة ٢٨٢).

ب ـ ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ (آل عمران ٧٣).

جـ ـ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (المائدة ١٩).

وفيما يلى طائفة أخرى من العبارات القرآنية التى تشتمل على ما يستحق الملاحظة:

١٠ ـ ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ (البقرة ٢٩) فى هذه العبارة ما يلى:

أ ـ تعدية الفعل «استوى» بحرف الجر «إلى» مما يوحى بالتضمين أى تضمين الفعل المذكور معنى فعل آخر لا يحسن إسناده إلى لفظ الجلالة كالفعل «انصرف» أو اتجه مثلا.

ب ـ أن الضمير فى «سواهن» غير مطابق للسماء من حيث العدد ولكنه مطابق لمتأخر عنه لفظا ورتبه أما لفظا فواضح وأما رتبة فلأن «سبع سموات» مفعول ثان للفعل «سواهن».

حـ ـ لاحظ الشركة فى أصول الاشتقاق بين «استوى» و«سواهن».

١١ ـ ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ ﴾ (البقرة ٣١) وفيها مايلى:

أ ـ ليس التعليم المذكور هنا على نحو ما نألفه اليوم من التلقين والتدريب وإنما هو إلهام وهبة واستعداد وفطرة وقدرة على استمال اللغة.

ب ـ أن الضمير فى «عرضهم» للمسميات لا للأسماء بدليل مطالبة الملائكة بأسماء المعرروضات.

حـ ـ لا ينبغى لهذه الآية أن تتخذ شاهدا على أن اللغة توقيفية إذا قبلنا التعليم بمعنى غرس الاستعداد الفطرى.

١٢ ـ ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة ٧٨) وفيها:

أ ـ أن النسب فى لفظ «أمىّ» إلى أمة العرب منظورًا إليها فيما يقابل الجاليات الكتابية التى كانت تساكنها.

ب ـ أن لفظ «الكتاب» فى هذه الآية يعنى الكتابة ولم يكن العرب أمة كاتبة فلما عُرفوا بذلك نسب من يجهل الكتابة إليهم فقيل له «أمىّ» أى من أبناء الأمة وليس من أهل الكتابة. وقد يقصد بلفظ «الكتاب» المكاتبة أيضا كما فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور ٣٣) وقد يقصد به جنس الكتب السماوية كما فى ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ (آل عمران ١١٩).

١٣ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢١٧) وفى هذه ما يأتى:

أ ـ ليس الذى فى نص الآية (من قوله: به والمسجد) عطفا لاسم ظاهر على ضمير متصل بحرف الجر دون إعادة حرف الجر ذلك لأن المقصود بقوله «وكفر به» الكفر بالله سبحانه وهكذا يكون ترتيب الكلام على النحو التالى:

وصد عن * سبيل الله وكفر به (مع إعادة الضمير إلى المضاف إليه).

وصد عن * المسجد الحرام.

وإخراج أهله منه أما الضمير فى «به» فقد عاد إلى المضاف إليه وهو لفظ الجلالة.

فالصد عن أمرين هما سبيل الله والمسجد الحرام.

١٤ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن

كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران ١١٨ ـ ١٢٠).

وضعت هذه الآية للبطانة المنهى عنها أربع صفات ولكل صفة شرحها من واقع الحال كما يلى:

الصفة شرحها

١ ـ «لا يألونكم خبالا» = «إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها».

٢ ـ «ودواما عنتم» = «وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا» (أى أنهم يكيدون لكم).

٣ ـ «قد بدت البغضاء من أفواهم» = «هأنتم أولا تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله» (أى على رغم إيمانكم بالكتاب كله).

٤ ـ «وما تخفى صدورهم أكبر» = «وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ».

وقد وضعت الآية هذه الشروح على طريقة اللف والنشر المشوش.

١٥ ـ ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران ١٢٥).

الفور أول الوقت يقال: جاء فوراً وجاء من فوره أى فى الحال وهذه العبارة كافية بمفردها لإيضاح معنى عدم الإبطاء، أما الآية المذكورة فقد أضافت إلى الفور إشارة إليه فاكتسبت العبارة بذلك تأكيدا للفور مرجعه إلى دلالة لفظ «هذا» على مشار إليه قريب كما أكتست العبارة جمالا على جمالها بما اكسبتها زيادة اللفظ المذكور من

توازن إيقاعى تحول به النبر الذى فى أول «فورهم» من نبر أولى إلى نبر ثانوى ليفسح المجال للنبر الذى على «هذا» أن يحتل موقع النبر الأولى وبذا أصبح النبران معاً كالنبرين فى كلمة واحد مساوية لهما معا فى الطول مثل: اسْتَحَلّوُها أو استفزّونى إذ يقع النبر الثانوى فى كل من الكلمتين الأخيرتين على حركة همزة الوصل والنبر الأولى على واو المد التى تقف بإزاء الألف التى بعد الهاء من «هذا».

١٦ ـ ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران ١٨٣).

عدل نص الآية عن أن يقول «بالبينات وبقربان تأكله النار» إلى قوله «بالبينات وبالذى قلتم» وربما كان ذلك للأسباب الآتية:

أ ـ إثبات أن ذلك كان مطلبا لهم غير جاد لأنه تحقق من قبل ذلك ولم يرتدعوا به.

ب ـ الاستخفاف بهذا المطلب لأن عند الله من الآيات ما هو أعظم من ذلك وكان مظهر الاستخفاف الكناية عنه بالموصول وصلته. وهذا شبيه بما فى الآية (١٨١) من السورة نفسها إذ يقول تعالى: «سنكتب ماقالوا» لعدم إرادة ترديد ما قالوه إذ قالوا «إن الله فقير ونحن أغنياء».

١٧ ـ ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ (النساء ٢).

من الواضع أن الفعل «أكل» يتعدى إلى مفعوله بنفسه وقد تعدى فانتصب بعد لفظ «أموالهم» على المفعولية ولو أن العبارة وقفت عند هذا الحد لكانت قياسية وبحسب الأصل الاستعمالى. ولكن الجار والمجرور الذى جاء بعد ذلك أوجب إعادة التفكير فى الفعل «تأكلوا» واعتقاد أنه ضمن معنى فعل آخر يتعدى بواسطة «إلى» مثل «ولا تضموا» أو «تحُوّلوا» أو غير ذلك. ولكن الآية لو استعملت أحد هذه الأفعال الأخيرة لخلت من الطاقة التعبيرية التى تجدها لها مع استعمال الفعل «تأكلوا» لما فى استعماله من الدلالة على الشراهة والاستهلاك والهضم فى وقت معا.

١٨ ـ ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾ (النساء ٦).

فى عبارة «وبداراً أن يكبروا» ما يلى:

أ ـ استعمال مصدر البدار فيه إثبات لسوء النية من قبل أولياء اليتامى.

ب ـ وفيه أيضا تسابق مع الزمن ومع نمو اليتامى للاستئثار بأموالهم.

جـ ـ نزع الخافض من «أن يكبروا» يفتح المجال أمام تقدير لفظ مناسب إلاّ يكن حرف جر كاللام مثلا فهو صالح أن يكون ظرفا نحو «قبل أن يكبروا» ولكن لأن لفظ «بداراً» يحمل فى طيه معنى «قبل» أصبح بذاته مغنيا عن تقدير الخافض المنزوع الذى تقرره قواعد النحو فى هذا الموقع، ولعل التنوين فى «بداراً جاء لمشاكلة التنوين إسرافا» ولو لم يكن الأمر كذلك لجاز فى العبارة أن تكون «وبدار أن يكبروا» بإضافة البدار إلى المصدر المؤول ولو حدث ذلك لكان لفظ «بدار» مساويا فى الموقع والمعنى للفظ «قبل» وإن ظل إعرابه كما هو مفعولا لأجله.

١٩ ـ ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٦ ـ ٢٨).

لدينا فى هذه الآيات العبارات التالية:

يريد الله ـ والله يريد ـ يريد الله

والذى يبدو أن التقديم فى العبارة الثانية جاء لسببين:

أ ـ كسر الوتيرة الواحدة فى طريقة الترتيب.

ب ـ الدلالة بالعبارة الثانية على أن الله وحده يريد التوبة على حين يريد الذين يتبعون الشهوات الميل العظيم ويعزز هذه الدلالة ما نجد من المقابلة بين إرادة وإرادة.

٢٠ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ

الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ (النساء ٤٤ ـ ٤٦).

قدر بعض المفسرين كالجلالين قوله تعالى «من الذين هادوا» خبرا مقدما مبتدؤه «قوم» وتابعوا فى ذلك مذهب سيبويه وما أنشده النحويون من قول الشاعر:

لو قلت ما فى قومها لم تيثم يفضلها فى حسب وميسم

ولكن الظاهر فى الآية أن «من الذين هادوا» متعلق بلفظ «نصيرا» وذلك على نحو ما فى قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (الأنبياء ٧٧) وكذلك ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾ (غافر ٢٩) وأيضا ﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ (هود ٣٠).

٢١ ـ ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (المائدة ١٤) وكذلك ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾ (المائدة ٨٢).

أول ما يلاحظ فى هذه الآية هو وصف النصارى بعبارة «الدين قالوا إنا نصارى» لأنهم تخطوا مجرد النصرة للمسيح إلى عبادته فأساءوا إليه وأوقفوه موقف المساءلة يوم القيامة (المائدة ١١٦ ـ ١١٨) ومن ثم فهم الذين قالوا إنا نصارى وأما وصفهم بلفظ «النصارى» مجردا فى أماكن أخرى من القرآن فقد جاء فى مجال ذكر عدد من الطوائف إحداهما النصارى إما على سبيل التعداد أو المقابلة أو غير ذلك.

٢٢ ـ ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة ٤٨).

فى العبارة تضمين الفعل «تتبع» معنى فعل آخر يتعدى بالحرف «عن» ويمكن تأويل ذلك بنحو «ولا تنحرف بسبب أهوائهم عما جاءك من الحق» وأما ما فى الآية (٤٩) من قوله «ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك» فإن المصدر المؤول بدل من الضمير فى «احذرهم» أى احذر أن يفتنوك أو احذر فتنتهم إياك.

٢٣ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ (المائدة ٥١ ـ ٥٢).

أوضح معنى الفاء من قوله «فترى» هنا أنها جاءت للسببية ومعناها «ذلك بأن» أى إنما جعلنا أولياءهم منهم لأن الذين فى قلوبهم مرض «المنافقين» يسارعون فيهم أى فى اليهود وقد عطف على ذلك ما نجده فى الآية رقم (٦٢) من قوله:

«وترى كثيرا منهم يسارعون فى الأثم والعدوان» وهم يهود.

٢٤ ـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١).

نسبت الآية السموات والأرض إلى الخلق ونسبت الظلمات والنور إلى الجعل فكأنما جعلت السموات والأرض جواهر وجعلت الظلمات والنور أعراضا تنسب إلى هذه الجواهر وتدرك بها. ثم إن هذا الإبداع لم يهد الذين كفروا إلى مبدع قادر يستحق أن يعبد فاتخذوا عديلا له يعبدونه من دونه «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون».

٢٥ ـ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ (الأنعام ٨، ٩).

فى هذه الآية حجتان:

الأولى أن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق وهو أن تحق عليهم كلمة العذاب فلو أنزل عليهم ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون.

الثانية أن الإنسان ليس مؤهلا لرؤية الأجسام النورانية ومن ثم يصور الله الملائكة فى صورة الناس ليراها الناس ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ وقد صور الله جبريل فى صورة دحية الكلبى ليراه المسلمون.

كل ذلك فى كلمات قليلات ولكن وافيات بالغرض.

٢٦ ـ فى العبارة القرانية آحيانا ما يمكن آن يسمى تقارض المصدرين بحيث يأتى المصدر صريحا فى موضع المؤول ومؤولا فى موضع الصريح كما نرى فى قوله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ (النساء ١٤٨) أى «لا يحب الله أن يجهر إلا من ظلم» وفيها أيضا أن يأتى المصدر مؤولا باسم الفاعل نحو:

أ ـ ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ (البقرة ١٧٧).

ب ـ ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾ ((البقرة ١٨٩) والمعنى فى كلتا الآيتين «ولكن البار».

جـ ـ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (التوبة ١٩) أى ساقى الحاج وعامر المسجد.

د ـ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ (الملك ٣٠) أى «غائرا».